لَفْتُ الإنتباه إلى القِوَى الثَّلاث للمحافظة على أداء الصّلاه

2024-01-26

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الصلاةَ عمادَ الدِّينِ. وكِتَاباً مَوقُوتَاً على المؤمنينَ. حثَّنا المَولى عليها في كتابِهِ المُبينِ. فَقالَ في سورة البقرة: ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)). فسبحانه من إله فَرَضَ الصلاةَ على عِبادِهِ مِن غيرِ حاجَةٍ إليهم، وأَثَابَ القَائِمِينَ بِها على أَكمَلِ وَجْهٍ وأَفضَلَ عليهم، وَعاقَبَ المُعرِضِينَ عَنْها والمُفَرِّطِينَ فِيها والسَّاهِينَ عنها. وأَشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، ذو الجلال والإكرام. جَعَلَ الصَّلَاةَ عَمُودَ الْإِسْلَامِ، وَبُرْهَانَ الْإِيمَانِ، وَرَاحَةَ الْقَلْبِ وَالْوِجْدَانِ، وَأَشهدُ أنَّ سيّدنا مُحمَّداً عبدُ اللهِ وَرسولُهُ. وصفيّه من خله وخليله. النَّاصِحُ الصَّادِقُ الأمينُ، آخِرُ وَصِيَّةٍ لَهُ: ((الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)). حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُغَرْغِرُهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيصُ بِهَا لِسَانُهُ.

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنا * ومِنْ بحار الرَّدَى والهُلْكِ أَنقذنا

هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهِجِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. صفوة الأصفياء المتوَّجين بتاج الجلال والجمال. وعلى آله الذين هم خير عِتْرة وأشرف آل. وصحابته نجوم الهداية وحسنات الأيام والليال. صلاة تصلح بها منّا الأقوال والأفعال. وتوفّقنا بها لصدق النية وصالح الأعمال. وتلهمنا بها حُجَّتَنَا المنجية يوم العرض والسؤال. وتجعلنا بها من الآمنين المطمئنّين عند تراكم الزلازل والأهوال. يا من إليه المفزَع في الحال والمآل. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ما زلنا أيام شهر رجب الحرام، وقد جعله الله من الأشهر الحُرُم الأربعة:

ذو قِعدة ذو حِجة محرَّمُ * ورجب الفرد شهور حُرُمُ

وفي شهر رجب على الراجح، من السنة العاشرة بعد البعثة وقعت حادثة الإسراء والمعراج. وهي من أعظم مظاهر التكريم الإلهي. لمن ختم الله به النبوّة. وأتمّ به الرسالة. وأكمل به الدين، سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وسلم. هذه المنحة الربانية الكبرى التي خرقت كل النواميس المعهودة، وعطّلت كل القوانين المعروفة في العادة، حين أَسرى الله بعبده صلى الله عليه وسلم في رحلة أرضية مباركة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عَرج به في رحلة سماوية فضائية مباركة إلى فوقِ سبْعِ سماوات، ثم إلى قابِ قوسين أو أدنى، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى. حَيْثُ جَاءَ الخَبَرُ بِالأُولَى فِي كِتَابِ اللهِ تعالى وَاضِحاً صَرِيحاً، قَالَ تَعالَى في سورة الإسراء: ((سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)). وكان الخَبَرُ عن الثَّانِيَةِ إِشَارَةً وتَلْمِيحاً، قَالَ تَعالَى في سورة النجم: ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)). وفي هذه الرحلة المباركة أوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى؛ فكان ممّا أوحى له فرضية الصلوات الخمس. أيّها المسلمون. تعالوا بنا اليوم لنتحدّث عن الصلاة. باعتبار الوسائل التي يجب أن نؤدّيها بها؛ فنتساءل: بماذا يجب أن نصلي؟ والجواب باختصار: يجب أن نعبد الله في الصلاة بثلاثة أمور: عبادة الجسد بالأقوال والحركات، وعبادة العقل بالتدبّر والتفكير، وعبادة القلب بالخشوع والخضوع. أمّا التفصيل فيجب أن نعلم أنّ الله تعالى خلق الإنسان من ثلاث قِوىً: القوّة البدنية التي يتحرّك بها، والقوّة العقلية التي

يفكّر بها، والقوّة الروحية التي يحسّ ويشعر بها. أوّلا: أمّا عبادة الجسد بالأقوال والحركات؛ فتتحقّق بأمرَيْن: الأمر الأوّل: بالإعتدال والإطمئنان في القيام والركوع والسجود والجلوس؛ فقد روى البخاري ومسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم في المسجد، فدخل رجل فصلّى بسرعة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إرْجِع فصلِّ فإنّك لم تصلِّ)). ثلاث مرات، ولم يعلّمه حتى طلب منه ذلك. فقال: ((يا رسول الله؛ واللهِ لا أُحسن غيرَه فعلّمني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا قمتَ إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسَّرَ معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئنّ راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئنّ ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئنّ جالسا، وافعل ذلك في صلاتك كلها)). وهذا الحديث يُسمّى عند المحدّثين (حديث الْمُسِيءِ صَلَاتَهُ). وقد شبّه النبي صلى الله عليه وسلم حالات جسدية في الصلاة بصفات بعض الحيوانات تنفيرا منها. فشبّه السرعةَ فيها بِنَقْرِ الدِّيك، والإلتفات بِالْتِفات الثعلب، وشبّه النزولَ إلى الأرض على الرُّكَب بدون اليدَيْن ببروك البعير، وشبّه بَسْطَ اليدَيْن مع الذراعَيْن على الأرض إلى المِرفقَيْن أثناء السجود بِبَسْطِ السَّبُع، وشبّه الجلوسَ بين الرجلَيْن بإقعاء الكلب. والأمر الثاني: بالتّأنّي والتُّؤَدَةُ والتمهّل في القراءة والأذكار والأدعية. بحيث يَفْهم السامع ما يقول، ويجب تحريك اللسان بالقراءة. ولا يكفي تمرير القرآن على قلبه من غير تحريك اللسان، كما لا تكفي البَسْبَسَة في الأدعية والأذكار كما يَفعل الكثير؛ بحيث تتحوّل مثلا (سبحان ربي الأعلى) إلى بَسْبَسَة غير مفهومة. لو أنصتَّ إليها ما سمعتَ إلا هكذا: (سبحربعل)، كما يقول البعض حين يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم: (صلعم) هكذا. أيّها المسلمون. ثانيا: أمّا عبادة العقل بالتدبّر والتفكير؛ فيتحقّق بالحضور، وأقلّ الحضور أن تعرف أنّك تقف بين يدي الله العليّ الكبير، وأن تعرف حين تقرأ أو تدعو أنّك في حِوار ومناجاة مع الله تعالى؛ يقول ففي الحديث القدسي الذي رواه أبوداود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن اللهَ تعالى يقولُ: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفينِ، نصفُها لي ونصفُها لعبدي ولعبدي ما سألَ، فإذا قالَ : {الحمدُ للهِ ربِّ العالمين} قالَ اللهُ: حمِدني عبدي، وإذا قالَ: {الرَّحمنِ الرَّحيمِ} قالَ اللهُ: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قالَ: {مالكِ يومِ الدينِ} قال اللهُ عز وجل: مجّدني عبدي، وفي روايةٍ فوَّضَ إليَّ عبدي، وإذا قالَ: {إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ} قال: فهذه الآيةُ بيني وبين عبدي نصفينِ ولعبدي ما سألَ، فإذا قالَ: {إهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالّينَ} قال: فهؤلاءِ لعبدي ولعبدي ما سألَ)). فلو كان أحدُنا يتكلّم مع مسؤول كبير أو صاحب مال وأعمال؛ فلا يكفيه إلا أن يكون حاضرا بقلبه وعقله وبصره وبصيرته وأذنيه وكيانه كله؛ فكيف نبخل بذلك ونحن في حوار مع الله تعالى؟! أيّها المسلمون. ثالثا: أمّا عبادة القلب والروح؛ فتتولّد من عبادة العقل؛ وهي استشعار ما يسمّيه العلماء بمقامات اليقين. التي قال فيها الإمام ابن عاشر رحمه الله:

خوفٌ رجًا شكرٌ وصبرٌ توبه * زهدٌ توكّلٌ رضًا محبّه

وحتى نفهم هذا المعنى نأخذ نماذج من الأمثلة في ذلك: لو أنك تقرأ: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))، فرجوْتَ بداخلك أن تكون من الذين يتمتّعون بالنظر إلى الله تعالى يوم القيامة؛ فهذا الرجاء هو عبادة القلب والروح. ولو أنك تقرأ: ((كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)). فتحسّ بداخلك بالخوف والخشية أن تكون من المحجوبين عن النظر إلى الله تعالى؛ فهذة الخشية هي عبادة القلب والروح. ولو أنك تقرأ: ((وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)). فتزهد عن أن تطلب ما في أيدي الناس عن طريق الحرام أو المذلّة، في الوقت الذي لا تنسى فيه نصيبك من الدنيا في الحلال؛ فهذا هو الزهد. وهو من عبادة القلب والروح. ولو أنك تقرأ: ((وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ))، فتشعر بداخلك بالرضا بما قسم الله لك؛ فهذا عبادة القلب

والروح. لو أنك تقرأ: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))؛ فتُخلص عملك لله من غير رياء ولا سمعة ولا إعجاب؛ فهذا عبادة القلب والروح. أيّها المسلمون. من خلال هذه الخطبة نتعلّم أنّ الصلاة لا تتمّ إلا إذا أدّيْناها بهذه القِوَى الثلاث. بعبادة الجسد وهي الإسلام، وبعبادة العقل وهي الإيمان، وبعبادة القلب وهي الإحسان؛ وقد علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل أنّ الدين مركّب من هذه الثلاث؛ قال ابن عاشر رحمه الله: (والدِّين ذي الثلاث خذ أقوى عراك)؛ فالإسلام نتعلّمه بعلم الفقه، والإيمان نتعلّمه بعلم التوحيد والعقيدة، والإحسان نتعلّمه بعلم التصوّف والأخلاق. أيّها المسلمون. من خلال إلقاء نظرة من نافذة هذا التقسيم الثلاثي على واقعنا. نجد الكثير منّا لا تتجاوز صلاته المستوى الأوّل. مجرّد حركات تدلّ على أنّنا مسلمون؛ ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ))، والقليل مَن يُحقّق لنفسه المستوى الثاني. التدبّر والتفكير. الذي يدلّ على أنّ الإيمان قد تجذّر في قلوبنا، وأقلّ القليل مَن وصل للمستوى الأعلى الإحسان؛ ((أن تعبدَ الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تَراه، فإنه يَراكَ)). لقد أصبحت الصلاة عندنا عادة لا عبادة، نصلّي بأجسامنا. ونحرّك ألسنتنا، فنرفع أيدينا مكبّرين. وننحني بظهورنا راكعين. ونخرّ للأذقان ساجدين؛ ولكن عقولنا لا تتحرّك نحو رب العالمين. وأرواحنا لا تعرج بنا نحو أحسن الخالقين، نقرأ القرآن ولكن لا نتدبّر، ونسبّح ولكن لا نفقه تسبيحنا، نقف أمام الله ولكنّنا في الحقيقة واقفون أمام مشاريعنا ومشاغلنا، أجسامنا في بيوت الله. ولكن قلوبنا في بيوتنا. ومتاجرنا ومعاملنا. وشهواتنا وشبهاتنا، نذكر الباقيات الصالحات ولكن أنفسنا عند زينة الحياة الدنيا؛ ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا))؛ فنتذكّر كل شيء إلا الصلاة، قلّما نتذكّر أنّنا واقفون بين يدي الله تعالى؛ فاحتاج الأمر إلى إعادة النظر في علاقاتنا بصلواتنا؛ لينظر كل واحد منّا إلى أيّ مستوى تصل صَلَاتُه في الواقع المشهود، حتى يُصلح صِلَاتِه

بالخالق المعبود؛ ((وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ))، ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)). نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ. ولا يجعلنا من الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ المُتَّقِينَ المؤمِنِينَ، الَّذِينَ هُم عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَى نَلْقَاهُ. اللهم اجعلْنا وذرياتِنا مقيمينَ للصلاةِ، محافظينَ عليها، حافظينَ لها، قارّينَ بها عينًا. اللَّهُمَّ أعنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك، واجعلنا يا ربنا من الذين يذكرونك قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم. اللَّهُمَّ أَصْلِحْنا، وأَصْلِحْ شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ بنين وبنات، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلامِ وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمْ للْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَجَنِّبْهُمْ الْفِتَنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنْ. بفضلك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ